ندوة إعادة كتابة التاريخ القومى

موجز أعده

الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى

فى شهر نوفمبر ١٩٦٥ عقدت الجمعية المصرية للدراسات التاريخية أربع ندوات مفتوحة حول موضوع إعادة كتابة التاريخ القومى ، وهو الموضوع الذى كان قد أثار مناقشات على صفحات بعض الجرائد والمجلات ، وفى بعض الأندية الخاصة — ومن ثم فإنه كان يشكل تياراً حقيقياً حول قضية عامة .

وحين تبنت الجمعية المصرية للدراسات التاريخية هذه القضية وضعتها فى إطارها الصحيح — إذ فتحت لها الباب عن طريق المناقشات الحرة التى اشترك فيها كثير من المتخصصين كل من زاوية تخصصه العلمى ، وبذلك خرجت حصيلة المناقشات أقرب إلى الموضوعية العلمية .

حقاً لقد تكلم كثير من المتخصصين كل من زاوية تخصصه ، إلا أن المناقشات المفتوحة سرعان ما ولدت آراء أكثر اتساعاً فتحت المجال لكثير من الاقتراحات الجادة .

وقد انقسمت الندوات إلى أربع موضوعات رئيسية :

١ — التاريخ السياسى .

٢ — التاريخ الاقتصادى .

٣ — التاريخ الثقافى .

٤ — التاريخ الاجتماعى .

وفيما يلى عرض لأهم الآراء والمقترحات التى أدلى بها المتكلمون .

obeikandl.com

الجلسة الأولى:

التاريخ السياسى

٢٩ نوفمبر ١٩٦٥

أحمد عبد الرحيم مصطفى

حسب وجهة نظرى ينقسم التاريخ السياسى إلى ثلاثة أقسام :

١ — التاريخ الدبلوماسى الذى يرتبط بالعلاقات الدولية .

٢ — المنظمات السياسية كالأحزاب والبرلمانات وغير ذلك من الهيئات التمثيلية .

٣ — التغييرات التى تطرأ على مقدرات الحكم : كالثورات والانقلابات ، والأدوات التى تنظمها كالدساتير ... إلى غير ذلك من أشكال صور الحكم السياسى .

وإذا وضعنا هذه النقاط فى موضع الاعتبار نجد أن إعادة كتابة التاريخ القومى تستلزم ما يلى :

١ — الاهتمام — فيما يتعلق بالتاريخ الدبلوماسى — بالمراسلات الرسمية ، مصرية وغير مصرية . وهذا يتطلب حصر المطبوع من الكتب الصفراء الفرنسية (Les Livres Jaunes) التى صدرت بشأن مصر ، وكذلك الكتب الزرقاء الانجليزية (Blue Books) ، كما يتطلب الاهتمام بتصوير الهام من الوثائق الأصلية فى العواصم الكبرى التى كانت لها صلات بمصر : كلندن وباريس وفينا وبرلين وبطرسبورج واستنبول وغير ذلك .

ومن الممكن لوزارة الخارجية المصرية أن تساعد فى هذا المجال بتبويب وفهرسة ما قد يكون لديها من الوثائق ، وكذلك السفارات المصرية فى الخارج . ومجلس الوزراء المصرى بامكانه أيضا أن يمد يد المساعدة ، إذا كانت لديه مضابط أو جداول أعمال — وغير ذلك .

٢ — أما فيما يتعلق بالمنظمات السياسية ، كالأحزاب والبرلمانات وغير ذلك من الهيئات السياسية ، فيجب الاطلاع على ما يوجد من جداول أعمال أو مضابط

الأحزاب وتاريخ الشخصيات الحزبية والصحف الحزبية وغير الحزبية ، ثم مضابط المجالس التمثيلية المصرية والمطبوعات البرلمانية وسجلات الهيئات .

وفيما يتلعق بتقلبات الحكم ، هناك أيضاً المذكرات الخاصة والأوراق الرسمية والأهلية المختلفة .

لا بد من جمع ما هو موجود من هذه المواد قبل التصدى لإعادة النظر فى كتابة تاريخنا القومى بوجه عام .

محمد محمود السروجى

هل نحن بحاجة إلى إعادة كتابة تاريخنا القومى ؟ إن إعادة التقويم مستمرة فى تاريخ الدول وأحرى أن تكون كذلك بالنسبة إلى مصر . ثم هل نبدأ تاريخ مصر الحديث من الفتح العثمانى أم منذ الحملة الفرنسية ؟ يجب أن نكتب تاريخ مصر منذ الفتح العثمانى لأنه فتح صفحة جديدة فى تاريخ مصر تختلف عن الصفحة السابقة ، ثم هو فى حد ذاته يعاصر بداية التاريخ الأوروبى الحديث . إننا لا نستطيع أن نفهم التطورات التى حدثت فى مصر فى القرن التاسع عشر مالم نعرف الأصول التى كانت موجودة فى مصر قبل ذلك — وكتاب الجبرتى قد تعرض لأحوال مصر فى العصر المملوكى . وربما كان من الصعب على المؤرخ أن يفى هذه الفترة حقها فى حدود الإمكانيات المتاحة له : إذ أن جزءاً كبيراً من الوثائق المتعلقة به موجود فى أرشيف القلعة ، وبعضه لم تمتد إليه يد إنسان ، ومعظمه مكتوب باللغة التركية وبخط الفرمة الذى لا يمكن قراءته إلا بدراسة معينة .

ثم نتساءل : كيف نكتب التاريخ ؟ هل طبقاً للموضوعات أم طبقاً للأحداث التاريخية ؟ أى طبقاً للتسلسل التاريخى ، لابد من المزج بين الناحيتين ، مع العناية بدور الشعب المصرى .

عبد المنعم عمر

إن بلدنا مليئة بالوثائق ، ولكنها مبعثرة ، لا يمكن أن نستغنى عن الوثائق والحجج القديمة الموجودة فى وزارة الأوقاف وفى محكمة نور الظلام . استطعنا بالاتفاق

مع وزارة الأوقاف أن نجعلها تستمر منذ خمس سنوات فى تصوير وثائقها ، والمجموعة أوشكت أن يتم تصويرها — وكذلك الحال بالنسبة إلى محكمة نور الظلام . هناك نوع من الوثائق لم يلق الاهتمام وهو القضايا السياسية التى هى جزء هام من تاريخنا القومى . أما فيما يتعلق بالكتب الزرقاء الإنجليزية ، ففى دار الكتب مجموعتان كاملتان ويوجد منها فى مكتبة وزارة الخزانة مجموعة كاملة ، لأن المستشار الإنجليزى عنى بجمعها وفيما يتعلق بالكتب الصفراء الفرنسية ، فكلية آداب القاهرة بها عجز بسيط يمكن استكماله ودار الكتب مجموعتها غير كاملة . لابد من حصر ما هو موجود منها بشتى الوزارات والمكتبات وخلق مجموعة متكاملة .

أحمد عزت عبد الكريم

المؤرخ وحده لا يستطيع أن ينتج إنتاجاً صحيحاً إلا بمعونة الوثائقيين ، والوثائقى لا يستطيع أن يمضى فى عمله إلا بمعونة المؤرخ . وجامعاتنا حتى الآن قاصرة عن تخريج المؤرخ الوثائقى أو الوثائقى المؤرخ بصفة خاصة . وأخشى أن يكون الحديث حتى الآن قد اتجه إلى هذه الناحية فقط وتغاضى عن هدف آخر ، بل فى رأيى أهم ، وهو كيف نكتب تاريخنا القومى ؟ هل نبدأ تاريخنا من الفتح العثمانى أو من الحملة الفرنسية ؟ وربما ذهب آخرون إلى بدئه من وقت تولية محمد على ، على اعتبار أنه بداية لإدخال تغييرات كثيرة وخطيرة فى المجتمع المصرى . هل ندرس تاريخنا على شكل موضوعات أم نربطه بدواعى التسلسل التاريخى ؟ لابد أن نضع معايير جديدة لكتابة تاريخنا على أساس التطور فى بناء المجتمع المصرى، وهو يختلف عن الحياة الاجتماعية وتاريخنا السياسى ما لم نربطه تماماً بتطور بناء مجتمعنا سيكون عبارة عن سرد أحداث دون أن يكون لها مغزى .

فمن يتصدى لكتابة التاريخ السياسى عليه أن يلم بتطور بناء المجتمع ونظمه الاقتصادية .

حسن الساعاتى

أود أن يكون تاريخنا القومى هو تاريخنا الشعبى . والسؤال الآن : من الذى يكتب هذا التاريخ ؟ أهى جماعة أم هو عقل جبار مفكر ؟ — نحن نريد هذه العقول

التى تحلل الأحداث والأحوال الاجتماعية والبناء الاجتماعى . فى التاريخ الحديث لا نستطيع الاستقراء بالشكل الذى يتوفر لنا بالنسبة إلى الحقب التاريخية الماضية — فلا نستطيع أن نستقرىء إلا من مسافات طويلة .

صالح جودت

يحسن أن نقسم العمل إلى ٣ ألوان : ١ — العمل الأول هو العمل الموسوعى العلمى القائم على دراسة جماعية سليمة . ٢ — كتب مدرسية . ٣ — كتب شعبية مستنبطة عن الدراسة .

صلاح عيسى

لو حددنا وجهة النظر التى من خلالها نرى التاريخ نحل مشكلة كتابة التاريخ . فنحن حين نعيد كتابة التاريخ القومى نقوم بذلك لأننا أصبحنا بلداً اشتراكياً ، لأن هناك نظام اجتماعى جديد . هناك ثلاث مدارس تناولت تاريخ مصر الحديث منذ أوائل القرن العشرين : مدرسة أخذت بوجهة نظر الاستعمار . بعد ثورة ١٩١٩ نجد أن من الواضح أن ثمة عناصر مشتركة من حيث رؤية التاريخ على أنه دور الطبقات المختلفة ودور الفئات المختلفة ، وبعد الحرب العالمية الثانية بدأت تظهر القوى الشعبية — ومن ثم بدأت تظهر مدرسة تاريخية ثالثة : فحين نعيد كتابة التاريخ نريد أن نضع وجهة نظر جديدة — إذ أننا نمر بنظام اجتماعى جديد يستلزم تغييراً فى النظرة إلى القيم والأخلاق والتاريخ والأدب والفن لا بد أن نفتح حواراً فكرياً مفتوحاً . يعطينا رؤية تاريخية جديدة من الممكن أن نقول إنها رؤية الجماهير الشعبية .

فاروق القاضى

لم نحدد مفهوم التاريخ القومى : هل هو التاريخ الحديث أم هو تاريخنا القومى على الإطلاق ؟ إن تاريخنا القومى ليس تاريخنا الحديث فقط . إن الهدف من إعادة كتابة تاريخنا القومى — فيما أظن — هو تصحيح خطأ منهجى كان الغرض والهوى من ورائه . إعادة كتابة التاريخ هى إعادة نظرة فى كتابة التاريخ من وجهة نظر

الجميع ، وتنقيته من الشوائب التى علقت به نتيجة للهوى الشخصى سواء من جانب الأشخاص أم من جانب الحكام . وإننى أنبه إلى أن التاريخ القديم والتاريخ الوسيط يحتويان على خطأ منهجى وعلى شبهات ألحقها بهما مؤرخون مغرضون . فلا بد من النظر إلى تاريخنا ككل — إذ كيف نستطيع أن نفصل واقعنا الحاضر عن ماضينا .

سليمان حزين

يجب على الأمة أن تفهم تاريخها وتحاول أن تعيد كتابته وتفهمه على أيدى القادرين على أن يعطوه الصورة الواضحة الصادقة تماماً . فالمؤرخ يدرس وثائق تكون كاذبة فى حدود معينة ، يسبغ عليها لون فى اتجاه معين . ومن هنا صعوبة عمل المؤرخ وتاريخ مصر الحالى لا يمكن أن ينفصل عن تاريخ مصر الماضى . إن تاريخنا يعيش معنا . هناك باستمرار عنصر الحضارة . والتاريخ القومى لابد أن يؤخذ من أوله إلى آخره . والتاريخ يصنعه رجال مهما كان دور الطبيعة والبيئة .

obeikandl.com

الجلسة الثانية :

التاريخ الاقتصادى

٦ ديسمبر ١٩٦٥

عبد الرازق حسن

أتساءل : لماذا نريد إعادة كتابة التاريخ ؟ وكيف نكتبه ؟ هناك مسائل كثيرة نشعر بأننا نفتقدها عند فهمنا لأى مرحلة من مراحل التطور الحالى ، وهذا مما جعل المسألة بالنسبة إلينا غير واضحة تماماً. فمفهومنا العلمى ألا شىء يمكن أن ينبت تلقائياً — فأى شىء ينشأ نتيجة ظروف موضوعية وظروف عادية وعلاقات بين الشعوب بعضها وبعض . لا يوجد شىء بإمكانه أن يحرك التاريخ، وإنما الأحداث والظروف والعلاقات المادية هى التى تقوم بهذا التحريك . هذه هى المشكلة التى واجهتنا ونحن ندرس التاريخ بالطريقة التى قيل إنها الطريقة التقليدية — وهى عبارة عن سرد لبعض أعمال فى عهود معينة وكان القائمون بها أشخاصاً معينين دون ربط هذه العلاقات بعضها ببعض . نحن لا نستطيع أن نستنتج الكثير مما كتب إلا إذا قرأنا كثيراً منه . والوثائق ليست هى التى تحدد المصادر للتاريخ ، إنما هى تعرض لنا بعض النقاط التى نستند إليها فى دراستنا — أى أنها تساعدنا على فهم الموضوع ، وليست هى وحدها التى تفهمنا الموضوع .

ثم نتساءل : من أين نبدأ ، أو بمعنى آخر . ماذا نقصد بالتاريخ الحديث ؟ مصر العثمانية لا تختلف كثيراً عن العصر المملوكى السابق عليها . نحن نريد إعادة كتابة التاريخ لكى يكون باستطاعتنا أن نفسر حركة الحياة . . حركة هذا المجتمع . الدراسات التقليدية لا تقسم على أساس ملوك . . الخ ، وإنما تذكر لنا أن هناك — مثلا — مرحلة إقطاع ومرحلة رأسمالية ومرحلة اشتراكية ، وقد ترجع إلى مراحل سابقة على الإقطاع . فإذا قلنا أننا اليوم فى مرحلة تحول اشتراكى فمعنى ذلك أن ما يمكننا تصوره أن تاريخنا الحديث يبدأ فى المرحلة التى بدأ فيها التكوين الرأسمالى للمجتمع ، وبمعنى آخر تغيير مادى فى علاقات الإنتاج أخذ يؤدى إلى ظهور أوضاع جديدة أوصلتنا إلى هذه المرحلة الجديدة التى نحن فيها .

متى نستطيع اعتبار مرحلة الرأسمالية تكونت عندنا ؟ هل مرحلة الرأسمالية تبدأ بنشوء الملكية الخاصة أم أن الملكية الخاصة بعض مظاهرها ؟ أو هل ننظر إلى الموضوع من ناحية نوع الإنتاج ؟ — أو ما نسميه نحن الاقتصاديين ، الإنتاج للسوق العالمى أو الإنتاج لكفاية حاجات المعيشة ؟ لو أخذنا هذا فى عين الاعتبار لوجدنا أن عصر محمد على يعتبر الإنتاج للسوق . إذا كان الإنتاج الرأسمالى يعتمد على الأجور ، فلنا أن نتساءل : متى بدأ نظام الأجور ؟

من العيب تحديد تاريخ لبداية ونهاية مرحلة تاريخية لأن العملية متصلة .

رياضه الشيخ

هناك نقطة لابد أن توضع موضع الاهتمام فى أي دراسة تاريخية .

(أولا) المراحل التى مر بها الاقتصاد المصرى فى الماضى — مراحل الرأسمالية الأولى ومراحل الإقطاع السابقة عليها والمراحل الرأسمالية التالية إلى أن نصل إلى مرحلة التطبيق — أو التحول الاشتراكى . فى رأيى أن هذا الموضوع يجب أن ندرس جذوره فى العصور الوسطى .

(ثانياً) علاقات الإنتاج وقوى الإنتاج بطريقة علمية — وهذه لم توجه إليها دراسة كاملة وموضوعية فى دراسات التاريخ بالقدر الكافى .

(ثالثاً) أرجو أن تتجه دراسة التاريخ نحو تفسير تطورنا من مرحلة إلى أخرى ، وبالتالى تكون الدراسة تفسيرية تحاول توضيح العوامل التى أدت إلى التغيير مجرد حوادث التغيير نفسها .

محمد أنيس

هل الدعوة إلى إعادة تقييم تاريخ مصر الحديث دعوة مفتعلة أم هى طبيعية ؟ وهذه الدعوة بطبيعة الحال تحمل إتهاما من ناحية ونقداً من ناحية أخرى لما سبق أن كتب فى تاريخ مصر الحديث . ثم لنا أن نتساءل : ما هو الجديد فى أذهاننا الذى يجعلنا نستطيع أن نقوم تاريخ مصر الحديث تقويماً جديداً ؟ الجديد نابع

فى حقيقة الأمر من أن ثمة تغير يحدث فى المجتمع المصرى الراهن — وهذا التغير يشمل جهات متعددة : سياسية واقتصادية وفكرية . هذه النظرة المتقدمة أوالثورية ليست قاصرة على التغير فى الوقت الحاضر ولبناء مستقبل ، ولكنها بالضرورة وحتما كذلك لابد أن تنسحب على النظرة إلى الماضى إلى تراث الأمة — أى أن الموقف الجديد لابد أن يطرح قضية مصر من الزاوية القومية . هل كتب من الناحية العلمية ؟ إن ما كتب يكاد يقتصر على تاريخ الدولة فى مصر لا تاريخ الشعب فى مصر وحين أتحدث عن الشعب المصرى فى تاريخه الحديث فإنما أقصد القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين . فهو التاريخ الذى تمت فيه كافة التحولات التى أشار إليها الدكتور عبد الرازق حسن والدكتور رياض الشيخ : التحول من الإقطاع إلى الرأسمالية ثم أخيراً التحول إلى الاشتراكية . عملية التحول هذه تتم نتيجة تفاعل قوى المجتمع — نتيجة التناقضات الموجودة فى هذا المجتمع . الاستفاضة فى تحول الطبقات الاجتماعية . أين تاريخ الحركة الوطنية ؟ فى مؤلفات الرافعى لا نحس على الإطلاق بوجود علاقات إنتاج ولا قوى إنتاج . فتاريخ الشعب المصرى كقوى اجتماعية لم يكتب . ما كتب تنقصه الخلفية الاجتماعية أو ما يسمونه أحياناً بالخلفية المادية التى تعطى الحركة السياسية مفهومها .

مهرى عيسى

التاريخ السياسى تاريخ الارستقراطى ، بمعنى أنه تاريخ الحكومات . أما التاريخ الاقتصادى فهو تاريخ الرجل العادى : تاريخ الفلاح أو العامل أو صاحب رأس المال . ومنذ ظهور التاريخ الاقتصادى فى أواسط القرن التاسع عشر تغير مفهوم التاريخ السياسى الذى لابد أن يقترن بدراسة اقتصادية . هناك تاريخ لمحمد على واسماعيل ، وهناك صمت شامل عن تاريخ الشعب . أين العامل ؟ أين الفلاح ؟ ودراسة مجهود الأفراد ناقصة فى تاريخنا الاقتصادى الحديث . واهتمامنا بالتاريخ الاقتصادى لا يعنى أن المحرك للتاريخ هو المادة . إنما الاقتصاد أحد العوامل التى تحرك التطور التاريخى . والذى أريد أن أقوله إن السياسة قد تؤثر على الاقتصاد ، كما قد يتأثر الاقتصاد بالسياسة . كما أن الاقتصاد قد يتأثر بعوامل أخرى عديدة يجب أن ندرسها جميعاً فتكتمل صورة تاريخنا الحديث .

راشد البراوى

الذى أستطيع أن أفهمه الآن مما جرى من نقاش ومن إبداء آراء وملاحظات هو أن المراد أن يفسر التاريخ المصرى تفسيراً اقتصادياً ، وبعبارة أخرى تفسيراً مادياً . وليس معنى هذا أننا نغفل أثر النواحى الفكرية أو الدينية أو السياسية . ويجب أن يراعى فى تفسير دور الشعب ليس الشعب فى مجموعه وإنما دور الطبقات الجديدة التى تظهر من مرحلة إلى أخرى لها مصالح ولها حاجات ولها أهداف ثم يجب أن نحدد معنى كلمة «إقطاع» — هل هو نظام كالذى كان سائداً فى أوروبا فى أوائل العصور الوسطى ؟

أمين عبدالله

يفرق بين علم الاقتصاد وبين التاريخ الاقتصادى الذى يدرس المشكلة الموجودة ويردها إلى أصولها التاريخية . فعند ما نكتب التاريخ الاقتصادى لا نكتب الاقتصاد البحت . بل لابد من أن نحترم منهج التاريخ وكتابته أولا ثم نعطيه الصورة التى نريد رسمها ضمن هذا الإطار .

أحمد عزت عبد الكريم

الآن نتساءل : كيف نكون المؤرخ الاقتصادى ؟ بعض المؤرخين الاقتصاديين دخلوا هذا الميدان من باب التاريخ ، وبعضهم دخلوه من باب الاقتصاد — ولكل من المدخلين فائدته ، ولكن له أيضاً نتائجه . فالذى دخل هذا الميدان من باب التاريخ قد يغلب عليه التاريخ السياسى ، وإن أضاف إليه لوناً اقتصادياً ، والذى يدخله من باب الاقتصاد تكاد تقرأ فيه اقتصاداً لا تاريخاً وإن كان يلونه بلون تاريخى — وهكذا . ناحية أخرى هى ناحية الاقطاع وغيره . أخشى أن التعبيرات الاقتصادية التى يحترفها إخواننا الاقتصاديون ويبهرون بها أنظارنا وأبصارنا ، أخشى أن تطغى على تفكيرنا حتى من كثرة ترددها أننا نؤمن بها وأنها كانت موجودة عندنا. فالنظام الإقطاعى ليس نظاماً اقتصادياً فقط ، وإنما هو أيضاً نظام علاقات اجتماعية بين فلاح وبين مالك الأرض وبين الفلاح والدولة — ثم هو نظام فكرى — وقد يزول النظام وتبقى آثاره الفكرية كما حدث فى المجتمع الأوروبى وكما هو حادث حتى اليوم فى مجتمعنا

الذى نعيش فيه . الإقطاع المصرى سواء فى العصور الوسطى أو فى العصر العثمانى أو فى القرن التاسع عشر ، يختلف تماماً عن الإقطاع الأوروبى — بل العكس لو تعمقنا فى دراسة ناحية الزراعة والأرض فى العصر العثمانى لوصلنا إلى نظام يقرب من النظام الاشتراكى على اعتبار أن الملكية الفردية لم تكن موجودة فى ذلك الوقت فى مصر ، وأن أهل القرية كانوا يزرعون الأرض كلها ويتكسبون منها ويأخذ كل بقدر جهده وبقدر العمل الذى بذله فى هذه الأرض . ملكيات القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين هل هى إقطاع بالمعنى الذى قرأناه فى الكتب التى تحدثت عن هذا النظام فى أوروبا ؟ إننى بذلك أعطى مثلا إلى أننا لا نريد أن ننساق وراء تعبيرات حديثة ومفاهيم حديثة ونحاول جاهدين بشىء من العنف أن نطبقها على تاريخنا . لو فعلنا هذا أخشى أن يلتوى بنا القصد ولا نستطيع أن نكتب تاريخنا القومى كما حدث فعلا .

محمد أنيس

اعتقادى الشخصى أن هناك إقطاع فى مصر وإن اختلف فى بعض السمات عن الإقطاع الأوروبى : علاقة الفلاح بالإقطاعى أو السيد علاقة تبعية إقطاعية ، وهذه تشترك فيها أوروبا مع مصر — هذا مع الفارق فى شكل الإقطاع بين أوروبا ومصر . اتفق على ضرورة تحديد المفاهيم . ماذا نقصد بالإقطاع ، وما سماته ؟ وكذلك بالنسبة إلى الرأسمالية وغيرها من القضايا .

أحمد عبد الرحيم مصطفى

حين أقول إن شيئاً معيناً قد حدث فى بلد أوروبى معين يكون هذا الشىء مصحوباً بتطور معين . بعد هذا حين أعرض لهذا الشىء أجده يعطينى فكرة سابقة عن مفهومه فى بلد آخر . أريد أن نتجرد عن المفهوم المشابه ، ثم نأخذ المفهوم الأصلى مجرداً ، ثم نبحث فى المادة التاريخية التى هى تعطينا التفسير لا التفسير هو الذى يجمع لنا المادة . ننظر إلى المجتمع ككل و نأخذ بنظرة واحدة على أساس قوانين ثابتة بحيث يبرز التفاعل بين شتى العوامل . قبل ذلك كنا نقتصر على البنيان الفوقى للمجتمع بمعنى الحكام الذين كانوا يصنعون التاريخ فى مصر فترات طويلة ، على حين كان

الشعب سلبياً لضغوط واقعة عليه أو لمفاهيم سائدة أو بسبب الجهل . ثم هل أدت مختلف الضغوط إلى تغيير المجتمع أم لا ؟ كل هـذا لا يتم إلا على أساس الدراسات الدقيقة المتخصصة التفصيلية . وبدلا من أن تكون التعميمات طليقة تقوم المادة التاريخية بإثرائهـا وتكشف لنا الأوضاع التى صاحبت تطور مصر فى القرن التاسع عشر وفى النصف الأول من القرن العشرين .

محمد أنيس

لو فهمنا مصطلحات كالإقطاع قبل جمع المادة يكون لذلك فائدته من حيث تقييم المادة . نحن بحاجة إلى تعريف وتحديد هذه المصطلحات .

obeikandl.com

الجلسة الثالثة :

التاريخ الثقـــافى

١٣ ديسمبر ١٩٦٥

سرير الفلهاوى

إننا نحس فى الفترة التى لم نكن فيها مستقلين لا سياسياً ولا اجتماعياً ولا اقتصادياً خضعنا لعوامل لعبت دورها فى حياتنا الثقافية ، والتاريخ جزء من هذه الحياة الثقافية ، وهذه العوامل للأسف فعلت كثيراً جداً من الأفاعيل فى هـذا التاريخ . فنحن نجد كثيراً جداً مما نسميه استغلالا لبعض الحقائق الصغيرة وتكبيرها وتضخيمها لكى تؤدى إلى أغراض سياسية أو أغراض اقتصادية مرغوب فيها ، ثم نجد من ناحية أخرى ، أو من الناحية السلبية ، أن مواضع كثيرة من تاريخنا قد أهملت إهمالا تاماً إما عن قصد وإما عن عدم عناية بها . تصحيح الوضع فى هذه الناحية شىء أسهل نسبياً من تصحيح الوضع فى الناحية الثقافيـة . ذلك أن أحداث التاريخ ليس من السهل أن تزيف التزييف الـكامل وليس من السهل أن تهمل لأنها محفوظة مكتوبة أو مروية . أما بالنسبة للناحية الثقافية أو الناحية الفكرية فالمسألة فى نظرى خطيرة جداً . ذلك أننا ننجرف فى تيار من هذه التيارات التى قصد بها إما — كما قلت — التزييف أو الاستغلال أو الإهمال دون أن ندرى أننا منجرفون فى هذا التيار ، دون أن نحس أن النتيجة التى ننقاد إليهـا وخيمة . من السهل جداً أن نعود إلى التاريخ لنصحح الأوضاع . أما بالنسبة إلى الحضارة العربية فنحن لا نجد كتاباً عربياً أصيلا مكتوباً يؤرخ للحضارة الإسلامية من وجهة نظر غير متحيزة أو متحيزة لناحية القوم الذين أنتجوا هذه الحضارة . وهذا يدل على أن ثمة فجوة كبيرة جداً فى حياتنا الثقافية لم تملأ بعد لأننا صرفنا لسبب أو لآخر لـكى ننظر بمنتهى التقدير إلى حضارة أخرى ولا نعنى بحضارتنا نحن إلا قلة من العلماء يعتبرون شاذين فى بيئتهم . فهذا بالطبع يحتاج إلى كثير من الجهود الـكى نصل إلى استدراك هذا الإهمال الذى حدث من قبل .

من ناحية تاريخ الفكر أو التاريخ الفنى نجد أن كتابة مثل هذا التاريخ فى الواقع أصعب نوعاً من كتابة تاريخ الأحـداث . تاريخ الأحداث له شىء من العرف .

والمفروض أن المؤرخ يحتاج إلى جمع المعلومات ثم إلى تركيبها بحيث تصبح كائناً حياً بمنطقها إذا شئنا ، ثم بعد ذلك ليس من شأنه أن يتدخل فيما وراء ذلك من دوافع نفسية أو دوافع فكرية — إلى غير ذلك . لكى نؤرخ للفن لابد أن نؤرخ للحياة الثقافية — يعنى نؤرخ للتاريخ والجغرافيا والفلسفة والحياة الاجتماعية والعلوم والحياة الاقتصادية — لأن كل ذلك يتدخل فى نسيج تكوين الفنان الذى يبدع شيئاً من كل هذا فناً أو يسمى شيئاً جديداً بالنسبة لكل هذا .

كوننا نعزل الأدب أو نعزل الفن ونؤرخه كما كان يفعل القدماء مسألة أدت كثير جداً من النتائج السيئة بالنسبة للأدب العربى بالذات . كان لابد من ا ـ ـ ناف المجتمع والشخصية الأدبية والشخصية الفنية .

ثم مرت على الأمة العربية بالذات عوامل جعلت لها نوعاً من الازدواج أو الانفصام بين فنها : ما يسمى الفن الرسمى والفن الشعبى . ونحن لم نكتب تاريخنا الفنى أو الأدبى بعد كتابة تجعل الحاضر يتصل بالماضى ويتطلع إلى المستقبل — ككل كتابة تاريخية فى أى موضوع من الموضوعات . هذه الفجوة بين الماضى والحاضر هى التى تسربت منها الدراسات والمذاهب والأنماط الغربية .

للروائع الشعبية وظيفتان : فهى تؤرخ وجدان الشعب فى الفترة التى لم يستطع فيها أن يعبر التعبير الرسمى ، ثم هى منابع للوحى يستوحيها وجدان الشعب .

كذلك من الخطر أن نتجه إلى تاريخنا الثقافى ونحاول أن نأخذ من الغرب فى هذه الطريقة أو فى هذه المعاملة نوع من أنواع القواعد أو نوع من أنواع الدليل ونطبقه تطبيقاً تاماً على حياتنا . فمن الخطأ أخذ القواعد التى يؤرخ بها الغرب ثقافته .

وكتابة تاريخنا الثقافى فى الواقع تحتاج إلى جهود جماعية — كل عصر من عصور هذا التاريخ لا بد له من متخصصين ولابد أن يتكون بينهم نوع من الروابط ونوع من الاكتفاء الفكرى . يضاف إلى هذا أننى لا أستطيع أن أدرس الأدب وحده فى فضاء — أننى أطالب بأن ندرس الأدب ضمن الثقافة بوجه عام .

والثقافة تدخل فيها التاريخ والجغرافيا والاقتصاد ، ومن باب أولى أن تدخل

فيها الفنون الأخرى التى لا يمكن أن ينفصل عنها الأدب . لا يمكن أن نفهم شعر بلد دون أن ندرس موسيقاها — فالعرب القدامى حين دونوا شعرهم دونوه على أساس الأغانى .

عبد الرحمن زكى

الواقع أن التزييف التاريخى قديم . وعبارة إعادة كتابة التاريخ تثير بعض السخط . أحياناً يظن البعض أن التاريخ ستعاد كتابته من جديد . الواقع أن تفسير هذه العبارة واضح — فالمؤرخون الذين كتبوا التاريخ فى القرن التاسع أو العاشر قد كتبوه بروح العصر الذى عاشوه . والمؤرخون المحدثون من يكتبون تاريخ العصور الفائتة لا شك سيكتبون بروح اليوم . هناك أفكار جديدة دخلت على المجتمع ، وتطورت كتابة التاريخ وأساليبه وتعددت مناهجه . ولهذا اقترح تكوين لجان المتخصصين لبحث أو دراسة ما طرأ على الموسيقى مثلا فى القرن التاسع وهل تأثرت بالموسيقى التركية مثلا خلال القرون من السادس عشر إلى الثانى عشر . هناك أيضاً ما طرأ على الملابس — وهذا الميدان يكاد يكون ضحلا جداً وكذلك الأغانى والعادات ... وهناك موضوعات كثيرة لم يكتب عنها شىء قط بطريقة علمية موضوعية فى تاريخنا الثقافى .

محمود الخواس

تكلمت الدكتورة سهير عن وحدة الفنون وكتابة تاريخ الثقافة كوحدة متماسكة ومتماثلة يؤثر بعض أجزائها على البعض الآخر . ثم عرضت عرضاً خفيفاً لدخول بعض المدارس الدخيلة علينا كالتكعيبية والتأثيرية — وما إلى ذلك من المدارس الغربية . الواقع إننا من الأمم القليلة التى استوحت فنونها من مصادر مختلفة : الفراعنة العرب ، أوروبا . واللغة العربية مرت بعصور اضمحلال منذ سقوط الدولة العباسية ، فأراد المجددون المحدثون أن يعودوا إلى النبع الأول الصافى فأصبحوا يتمسكون بالأساليب الكلاسيكية الأولية .

وعن قصد جعلنا فنوننا تنبع من منابع أخرى ومصادر دخيلة علينا ، لأننا لم تكن لدينا لامدرسة للتصوير ولا مدرسة للنحت . فتابعنا أساتذتنا الأوروبيين فى مدارسهم

التى سادت فى بلادهم وكانت لها علاقة بكل تطورات مجتمعاتهم . فعلى حين أخذنا الفنون التشكيلية من نبع بعيد أخذنا أدبنا من نبع قومى خالص . أما الموسيقى فكانت معدومة لدينا . موسيقانا ليست عربية أو فرعونية ، بل فارسية جاءتنا عن طريق استانبول ... الخ .

سهير القلماوى

لا أستطيع أن أفهم تاريخنا يكتب من غير دراسة الحوافز والدوافع التى أدت إلى إحداثه . فلا يستطيع أحد — مثلا — أن يدرس ثورة عرابى دون أن يدرس عبد الله النديم المحرك الفكرى لهذه الثورة .

فاروق القاضى

الحق أن الحديث فى موضوع الثقافة ذو شجون كما يقولون .. فالخلافات بين النقاد وأصحاب المذاهب كثيرة ، وهذا من الممكن أن يغرقنا فى كثير من التفصيلات التى تصرفنا عن السؤال الأساسى ، وهو كيف نكتب تاريخنا الثقافى ؟ إن ما حدث من خطأ بهذا الصدد ليس ناتجاً عن تزييف أو إهمال ، وإنما هو ناتج عن خطأ منهجى — فما زلنا ندرس الأدب بطريقة مدرسية كالتى اتبعها أسلافنا القدامى . ينقصنا إدخال العامل النفسى — مثلا — فى حياة الشاعر أو الأديب ، وهذا مرتبط بعامل البيئة التى أنتجت الأديب .

سهير القلماوى

العامل النفسى جديد ولا يصدق على العباقرة الذين يخاصمون عصرهم — العبقرى هو الذى يريد من عصره تغييراً جذرياً . الفنانون عادة هم الطلائع التى تؤدى إلى التغيير .

محمود اسماعيل عبد الرازق

فى حديثنا عن المصادر والوثائق أهملنا الرواية الشفهية — شاهد العيان .

محمد أنيس

الفرد مهما كان ليس معزولا عن عصره وإنما هو نتاج الظروف الاجتماعية ، الظروف المادية والسياسية التى تحيط به .

أحمد عزت عبد الكريم

قد يسبق الإنسان عصره .

محمد أنيس

أنا أقول يسبق عصره بمعنى أن ما يمثله من اتجاه فكرى موجود فى عصره ولكن على شكل تيار خفى مستتر مقيض له أن يكبر إلا إذا أجهض .

أحمد عزت عبد الكريم

لا توجد بداية من العدم .

سهير القلماوى

مسألة التاريخ شىء ومسألة الأدب شىء . الفنان بالنسبة إلى عصره يريد الأفضل فيسخطه ما هو واقع . الفنان وهو يخلق مؤمن بأنه يخلق لأنه يوجد شيئاً جديداً . ما لم يؤمن بهذا لاينتج فناً ، هو منغمس فى مجتمعه أشد الانغماس ولكنه غير راض إذ لو رضى لا ينتج فناً ، بل يكتب كتاباً علمياً . لابد أن يكون ثمة نوع من عدم الرضى .

أحمد عزت عبد الكريم

كيف ندخل تاريخنا الثقافى فى تاريخنا القومى ؟ مؤرخ التاريخ العام لا يجب أن يهتم فقط بالأحداث السياسية أو الاقتصادية أو غيرها . وإنما ينبغى أيضاً أن يتجه إلى التطور الفكرى الذى حدث فى الأمة فى العصر الذى يؤرخ له ، وكيف أن هذا التطور الفكرى كان إما لتطور سياسى وإما كان باعثاً على تطور سياسى . الناحية الأخرى

فى دراسة تاريخنا الثقافى القومى أن نكتب تاريخنا الفكرى العام . ولا أعتقد أن هناك محاولة قد بذلت حتى اليوم لكتابة تاريخنا الفكرى الحديث . وقد تساءل من تساءل عن المنهج الذى سنسير عليه وما هو التقسيم . هل هناك خطوط تكون مراحل يمكن أن نجعلها محطات أو معالم طريق فى تاريخنا الفكرى ، فى القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر مرت مصر بمرحلة لا أقول ضعف أو ركود كما هو شائع ، وإنما يمكن أن أقول إن المصريين فكرياً عاشوا فى هذه الفترة على نتاجهم وحده — لم يتصلوا بنتاج غيرهم من الأمم وإنما عاشوا على ما ينتجونه من علم وأدب وشعر .. الخ ثم تأتى بعد هذا مرحلة الاتصال بالغرب وهى الأخرى من الممكن أن تنقسم إلى مراحل : مرحلة الاضطراب الفكرى نتيجة لاهتزاز المفاهيم التى عاشوا عليها مدة طويلة وغزوا مفاهيم جديدة لهم . ويمكن أن نقول . تأتى بعد هذا مرحلة الثورة الفكرية الرومانسية فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين عصر الثورة الفكرية التى واكبت الثورة السياسية . ثم تتلو ذلك الواقعية فى الأدب والفن .

إلى جانب هذا لابد أن نكتب تاريخنا القومى الثقافى متفرقاً — أى لابد لمؤرخ الأدب أن يكتب الأدب المصرى الحديث ، ومؤرخ الموسيقى أن يكتب الموسيقى المصرية ومؤرخ القصة والمسرح والصحافة والتعليم ... الخ .

الجلسة الرابعة :

التاريخ الاجتماعى

٢١ ديسمبر ١٩٦٥

حسن الساعاتى

حين نتحدث عن تاريخنا القومى الاجتماعى إنما نطرق ميداناً يمتاز بالسهولة والصعوبة . يمتاز بالسهولة لأنه يتناول الحياة الاجتماعية الجارية فى مختلف العصور . كذلك هو صعب لأنه ليس من السهل أن نتناول بالدراسة العلمية المنهجية تلك الحياة الجارية التى نعيشها يوماً بعد يوم — كما يقولون أن لكتابة التاريخ تاريخ . ورأيت أن أتناول موضوعا لم يتناوله أحد فى الندوات السابقة وهو : من يكتب تاريخنا ومى ؟ إننى أتناول ث من ثلاثة نواحى :

أولا — المجال الجغرافى : قيل اننا حينما نكتب تاريخنا القومى من المستحسن أن نكتب أيضاً عن الدول العربية ولا نقصر الحديث على المجتمع العربى المصرى . ولكنى أرى أن تكون كتابتنا لتاريخنا القومى محصورة فى نطاق الجمهورية العربية المتحدة ونترك المجتمعات الأخرى لأبنائها .

ثانيا — المجال البشرى : تناول جميع قطاعات الشعب .

ثالثاً — المجال الزمنى : أميل إلى كتابة تاريخنا القومى الحديث ابتداء من نهاية القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر . لأننى أرى أن الحملة الفرنسية هى معلم من معالم تاريخنا القومى ليس فقط نضالا وجهاداً ، وإنما هى أيضاً تمتاز بأنها متلازمة مع نهاية قرن وبداية قرن حدثت فيه هزة ملموسة فى مجتمعنا . ثم يلى ذلك أن يكون وصفاً للحياة الاجتماعية فى شكل مسح شامل يتناول الميادين الآتية : الأسرة وما يرتبط بها من عادات وتقاليد وقيم تتبلور حول مراحل تكوينها . ثم تتناول بعد ذلك النشاط الاقتصادى : الإنتاج والعمل والتجمعات العمالية فى شكل نقابات أو اتحادات والأجور والسلع والأسعار وكل ما يتعلق بذلك مما يؤثر — أو كان يؤثر — فى حياتنا الاجتماعية . ثم بعد ذلك الثقافة والتعليم ثم الترويح والنشاط الدينى ثم الصحة ثم

الأمان الاجتماعى ثم الأمن العام . ثم لابد أيضاً أن تكون لدينا صورة واضحة لتوزيع السكان فى أنحاء الجمهورية سكان الريف وسكان الحضر وأن تكون صورة واضحة عن طريق الدراسة الواقعية المتعمقة عن الحياة كما كانت تجرى فى القرى والمراكز والبنادر والمدن .

الآن : من يكتب تاريخنا القومى ؟ الذين يستطيعون ذلك لا يستطيعون تماما لعدم تفرغهم ، أما الذين لديهم المعرفة والذين نالوا قسطا منها يمكنهم من أن يكتبوا لا يكتبون إلا تحت إشراف هؤلاء الأساتذة . لا بد من الكتابة على طريقة الأستاذ ومساعده . نريد أن نسجل الحياة والأحداث لنرى كيف كنا وكيف أصبحنا ، إننا الآن نسير فى تنمية اجتماعية واقتصادية سريعة لها أصولها وتسير فى مراحلها ولا بد أن نعرف تاريخنا القومى الاجتماعى الحديث لكى نفهم ليس فقط منابع أفكارنا بل أيضاً قيمنا . المقارنة تعطينا ثقة بالنفس لأننا فعلا حققنا تقدما كبيراً .

وهناك موضوع بالغ الأهمية هو الخصائص القومية لأى شعب من الشعوب. كيف اكتسبنا صفاتنا أو خصائصنا القومية . نريد أن نتمسك ببعضها ونتخلص من بعضها الآخر لكى نحقق التنمية السريعة فى إنتاجنا ولكى نحقق مجتمع الرفاهة. وأخيراً فاذا كنا قد درسنا تاريخنا القومى الاجتماعى دراسة منهجية سليمة فليس من المستبعد على الباحثين أن يخرجوا من هذه الدراسة بنظرية اجتماعية أو بنظريات اجتماعية يمكن أن تكون عربية مصرية سليمة .

حكمت أبو زيد

إذا كان الدكتور الساعاتى ينظر إلى كتاب التاريخ القومى الاجتماعى من وجهة نظر عالم علم الاجتماع فأنا أريد أن أدمج الناحيتين : عالم علم التاريخ وعالم علم الاجتماع. لابد أن نبدأ بتعريف لمدلول كلمة تاريخ ثم ما هو التاريخ الاجتماعى ؟ ثم ما هى الوظائف القومية للتاريخ ؟ ومتى ظهرت هذه الوظيفة القومية للتاريخ ؟ وما هى المجالات الاجتماعية التى يجب أن ندرسها فى هذه الحقبة من تاريخنا ؟

الواقع أن تتابع الحوادث الزمنية فى شكل مطرد من التغييرات يعنى وجود علامة زمنية ، بمعنى أن الزمن هو الركن الأساسى فى التاريخ الاجتماعى أو السياسى،

أو الاقتصادى أو تاريخ الفنون .. الخ . فهذا يعطينا فكرة العلاقة السببية — علاقة السبب والنتيجة ، وبذلك نجد عندنا حركة التطور الحضارى المختلفة . وما التاريخ الاجتماعى إلا تفسير لتطور المدنية والحضارة ، ومن هنا لا بد من أن نبدأ بقدماء المصريين . ومهمة المؤرخ استخدام النقد الموضوعى والنقد الذاتى بالاستعانة بالنظريات المختلفة التى نستمدها من علم الاجتماع . وننسق هذه التفسيرات متى تظهر الحقائق مرتبطة بعضها ببعض وتظهر كسلسلة متصلة الحلقات وإلا تعتبر حقائق منفصلة بعضها عن بعض .

لابد أن أفرق بين التاريخ وعلم الاجتماع . يتفق المؤرخ مع عالم الاجتماع فى استبعاد فكرة العناية الإلهية — فكرة المعجزات التى كانت سائدة فى العصور الوسطى . فعلم الاجتماع يتناول سلوك الأفراد فى ظواهرهم الاجتماعية المختلفة ومشكلاتهم المعاصرة ، كما يتناوله تناولا موضوعياً إحصائياً . وقد حاول التاريخ الاستفادة من قوانين وقواعد علم الاجتماع فى تفسيره للأحداث التاريخية ، ولكن ثمة فارق بين التاريخ وعلم الاجتماع — فعلم الاجتماع يحاول الوصول إلى قوانين عامة يستخدمها لتفسير حاضر الإنسان ومستقبله ، أى يتنبأ بما سيحدث . ونحن لا نؤمن بأن التاريخ يعيد نفسه لأن الظروف تختلف اختلافاً كبيراً ، ولكل ظرف ولكل عصر صورته الجديدة . أما التاريخ فيحاول تلمس أسباب الحوادث فى عملية التطور التاريخى للمدنية ، بمعنى أنه يصر على الاحتفاظ بالإطار الزمنى الذى يعتبر أيضاً إطاراً للتاريخ السياسى . كما أن التاريخ يصر على الاحتفاظ بالدور الذى تلعبه الشخصيات التاريخية فى بناء المجتمعات والحضارات المختلفة ، وبهذا يحتفظ التاريخ بعالمه وبصفته الواقعية التى تسمى « الآكتواليتيه » أو الصفة الحالية المميزة له .

فتفسير علم الاجتماع لعملية الحضارة المتطورة يعتمد أساساً على نظرية التطور من الزاوية التى تسلط الضوء على الدور الذى يلعبه الفرد فى الحياة ، كما يهتم بتحديد أثر القوى الطبيعية على تطور حياة الإنسان فى الماضى والحاضر . لا بد للمؤرخ إذن من الاحتفاظ بمستويات العصر وهنا يختلف المؤرخ عن عالم الاجتماع فى حكمه على التطورات — فهو يربطها زمنياً ومكانياً بالوقائع أو الأحداث التاريخية . ولا يمكن أن نختلف فى أن ثمة بطولات ، ولست أريد تأكيد نظرية الرجل

العظيم ، إنما الذى لا ينكر أن هناك أفراداً غيروا مجرى التاريخ فأدخلوا نظماً اجتماعية جديدة وأنماطاً سلوكية مختلفة وتشريعات اجتماعية ودستورية. أما عن الحتمية الجغرافية فهى كما قلت من المعالم المهمة فى التاريخ الاجتماعى ، ولكن ليس لنا أن نخضع للحتمية الجغرافية لأن إرادة الشعب هنا هى المتحكمة .

محمد مصطفى زيادة

التاريخ ليس مواعظ ، وإنما هو خبرة وتجربة ويقظة هى التى يجمعها اليوم التوعية : توعية الفرد فيما يختص بماضيه وحاضره ومستقبله .

ابراهيم أبوب

الكتابة فى تاريخ العالم العربى تتطلب تضافراً أو مسئولية جماعية من كل الدول العربية للبدء فى هذا المشروع الضخم . كيف يمكن أن نحدد طريقنا فى هذا الخضم الواسع ؟ عنوان الندوة : كيف نكتب تاريخنا القومى المصرى : الفلاحون ، العمال ، المثقفون ، الرأسمالية الوطنية . أريد أن نأخذ كل قطاع على حدة عند الدراسة .

حسنى رياضه

ما الخط الذى يفصل بين التاريخ عن الأدب ؟

محمد مصطفى زيادة

الخط بين الأديب والمؤرخ ، على دقته ، مفهوم . الأديب يكتب ألفاظاً حلوة معسولة ، فيضحى بالحقيقة من أجل الأسلوب والعكس : فى التاريخ يضحى بالأسلوب من أجل الحقيقة .

محمود عوده

أحب أن أثير نقطتين هامتين : مشكلة التزييف التاريخى ، ومشكلة التنظير فى التاريخ أو صياغة نظريات عامة عن تاريخ المجتمع . أما المشكلة الأولى فقد

اكتشف علاجها ابن خلدون فى منهجه التاريخى فى تحقيق الأحداث التى سجلها المؤرخون السابقون عليه — هـــذه الأحداث وضع لها قواعد وقوانين نستطيع بواسطتها أن نقيس مدى صدق الحقيقة التاريخية ، وأهمها قياس الأحداث التاريخية بطبيعة العمران . ومن ثم وجب علينا فى دراسة التاريخ أن نتحرى الدقة فى اختيار الحقيقة أو فى اختيار الحادثة التى نسجلها تسجيلا علمياً . وهنا أقول إن ابن خلدون لم يكتشف علم الاجتماع من خلال بحثه فى التاريخ ، وإنما هو اكتشف علم التاريخ من خلال تطبيقه لمنهج علم الاجتماع .

والمشكلة الثانية هى مشكلة التنظير فى التاريخ أو تـكوين نظريات معينة . فى الواقع لهذه المشكلة خطورتها بقدر ما بها من فائدة . أما فائدتها فتتلخص فى مدنا بقدرة وطاقة على تفسير الأحداث التاريخية وربطها جرياً وراء تفسير الحضارة الإنسانية العامة . أما خطورتها فهى تقودنا إلى نزعة دوجماتيكية توكيدية نسير بمقتضاها موجهين سلفاً بناء على افتراضات سابقة مر بها الإنسان ، ولا يصح لنا أن نتنبأ بأن هذه الخبرات نفسها سوف يمر بها الإنسان فى وقت ما . فلا بد أن نحتاط لهذا الأمر ، وألا نأخذ هذه النظريات التاريخية كحجة مؤكدة فلا بد أن نترك مجالاً من الوقت لحرية الإنسان وفـكره .

محمود زهدى

ما دور دراسات التاريخ القومى فى كتابة التاريخ ؟ الحقيقة للآن منذ إنشاء المركز لم يقم هذا المركز بالدور الرئيسى الذى أنشىء من أجله . حين دعا الدكتور محمد أنيس إلى إقامة مركز دراسات التاريخ القومى كان يرى أن يكون هذا المركز عبارة عن مركز للأبحاث التى تجرى فيه . ولـكن إذا كان قد اتضح فى الندوات السابقة أن لإعادة كتابة تاريخنا القومى أهمية كبرى ، فللأسف لم يعط مركز دراسات التاريخ القومى الإمكانيات التى تستطيع بها أن يقوم بالدور المنوط به .

أحمد عزت عبد الكريم

لى عدة ملاحظات على بعض الأقوال التى ذكرت فى هذه الندوة ، ثم كلمة عامة عن الموضوع . أولا نحن لا ندعى حين نكتب تاريخنا القومى الحديث أننا نقفل باب

الكتابة فى العصور الأخرى من تاريخنا القومى . وإذا كانت العناية قد اتجهت قبل أى شىء لتاريخنا الحديث ، فإنما يرجع هذا إلى أسباب أكثرها ما شاع من اعتقاد بأن تاريخنا الحديث لم ينل العناية الكافية من حيث صحة الوقائع فى بعض الأحيان أو قصور الوقائع فى أحيان أخرى . فمن المسلم به أن تاريخنا القومى يمتد من عصور التاريخ القديمة أو ما قبل التاريخ . ولكن استقر الرأى على أن تتجه العناية أولا إلى العصر الحديث ولا يمنع هذا من أن تتجه جهود المتخصصين فى نواحى التاريخ الأخرى . ثم هناك ناحية أخرى ، فإننا عند ما نكتب تاريخ مصر الحديث لا نقصد بتاتاً أن نفصل تاريخنا أو نفصل بلدنا عن المجموعة العربية التى هى جزء منها ولا عن المجموعة الأفريقية ولا المجموعة الإسلامية ولا المجموعة العالمية التى نحن أعضاء فيها . وهناك نقطة أود أن أشير إليها أننا عند ما نتكلم عن التاريخ الاجتماعى أو تاريخ المجتمع المصرى فاننا لا نقصد فقط عادات المصريين وتقاليدهم وحياة الأسرة .. إلخ . وإنما أقصد كيف تكون المجتمع المصرى على مر العصور حتى وصل إلى ما هو عليه اليوم . فاذا بدأنا بما هو قائم اليوم ثم عدنا إلى الوراء عصراً بعد آخر ، ربما اتضحت الصورة أكثر . أعتقد لو استطعنا أن نتتبع الفئات المختلفة أو الطبقات المختلفة التى يتكون منها المجتمع المصرى وكان هذا أقرب ما يكون إلى ما نسميه التاريخ الاجتماعى .

مثلا فى أوائل القرن التاسع عشر ، وهو البداية التى اختارها الدكتور الساعاتى لتاريخ مصر الحديث ، إذا نظرنا إلى المجتمع المصرى حينئذ نجد أنه يتكون من عدة عناصر : المجتمع الريفى ، مجتمع المدينة . ثم هناك طبقات أو طوائف حاكمة وطوائف محكومة . طوائف مستغلة وطوائف محكومة تقوم بأوجه النشاط الاقتصادى فى البلاد من زراعة أو صناعة أو حرف — فكيف كانت العلاقة بين هذه الطوائف ؟ ثم كيف كانت علاقاتها بالحكومة ؟ وما هى الحكومة فى ذلك الوقت ؟ الفرد فى ذلك الوقت كان شعوره بالانتماء إلى طائفة أخرى أقوى من شعوره بالانتماء إلى الأمة ، وكانت علاقته بطائفته أقوى من علاقته بأفراد الطوائف الأخرى . حكمت كل طائفة نفسها بنفسها تقريباً ، وكان لهذا أثره فى تماسك المجتمع المصرى — حدثت تداخلات بين هذه الطوائف بعضها وبعض ، وبدأت تذوب الحواجز . . هذه ظاهرة اجتماعية هامة جداً كان لها تأثير فى النواحى السياسية والاقتصادية وفى نواحى الحكم .

والعوامل التى حركت المجتمع المصرى فى القرن التاسع عشر هى : التعليم الحديث ثم تأسيس الجيش القومى ، ونمو فكرة الدولة التى أصبح لها مفهوم ووظيفة واختصاصات مختلفة بحيث لا يمكن للفرد أنى ولى وجهه أن يتخلص بتاتاً من سيطرة الدولة عليه فى كل مراحل حياته. فمهمة المؤرخ الاجتماعى فى الدراسة الأولى أن يصور لنا العوامل الحديثة فى المجتمع وكان لها أثرها فى إعادة تشكيل المجتمع المصرى فى القرن التاسع عشر وحتى الوقت الحاضر .

دكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى

obeikandl.com